

## المنثور لابن الجوزي

من أدبيات ابن الجوزي في المواعظ. ويضم موعظة واحدة، تقع مطبوعتها في ثلاث وخمسين صفحة، من القطع الصغير، ويمكن إلقاؤها في مجلس واحد. ولعل ابن الجوزي ألقاها في الطريق إلى مكة، أو في موسم الحج. وأكثر فيها من ذكر يوسف وقميصه، ومحبة زليخا ويعقوب، وضمّنها طائفةً من شعر العشاق وحكايا الصوفية، إلا أنه لم يعن بنسبة الشعر إلى قائله.

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أحيا أموات النبات بنفحة نفحة إسرائيل الأقدار  
بالإقتدار، في صور صورة شريف لطيف رحمته المودعة في ضمن إرسال  
الرياح . الذي حلّى أجساد الجماد من قدود مهفهفات الأغصان بلآلئ  
عقود العقود كاللؤلؤ المنضود، من سوسن ورنجس وشقائق وأقاح  
وتفاح، ومنطق غلمان أفنان الأشجار بمعصفرات مكلّلات مناطق الزهر  
الفيّاح، فالأرض تبتسم عجباً، والسماء تبكي طرباً، والنور يحكي ذهباً،  
والطير يُغني شجناً ويرتاح، وعروس عرائس - الغروس تتمايل تواجداً  
عند مرّ هبوب لطيف عطر نسيم الرياح، فكُتّما أدارَ نديم نسيم بنسيم  
وابل الأمطار، في مجلس الدوحة على صوفيّة الأشجار كأس الطرب

والأفراح، وصوتت شبابةُ الريح، على إيقاع طار الرعد غنى بلبلُ البلبال  
وباح، ولمعت شمسُ النُّور، وصَفَّقَت أكفُ الأوراق فتمايلت الأشجار،  
ورموا على مغاني الأطيَّار مرقعات النواوير من ال إرتياح، والطيور تسجع  
والهزار يصفر والهدهد يهدد بإفصاح، والقمر يُغرِّد، ورهبان الملائكة  
يتلون في جوامع صوامع أذكارهم إنجيل تبجيل الملك الفتح، البصير  
الذي يبصر ديبب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة  
الظلماء بغير مقلة تعتريه بال إنطباق وال إنفتاح، السميع الذي يسمع  
وقوع قوائم الدرّ على البرّ، ويعلم ما يختلج في طباق مكنونات خزائن  
الأشباح، ينزل كلّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا - تعالى ربنا عن ال إنتقال والقيام  
وال إرتحال والمسير والعدو والروح - فيقول : هل من سائل فأعطيه؟  
هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من داع فاستجيب له، (كما ورد عن  
النبي ) في الصباح، فسبحان الذي أطلع من قعر بحر الغيب نفيس  
جواهر الأرواح، وأودعها بسرّ حكمته في خزائن الأشباح، أدارَ الفلكَ  
ليُعلمَ بدورانه وجودُ المساء والصباح، جعل الليل والنهار طرازين على  
كمي مرقعة الدهر لاصطياد الأرواح من أقفاص الأشباح، نثرَ دنانير  
الكواكب على زُرقة شقّة وجه السماء والليل مطويّ الوشاح، فكأهنّ  
جمرات بقين في مواقد خلعت عنها ثياب الرماد أيدي الرياح، أو عيون  
الروم رُكبت في محاجر السودان ركبها مقترح أحسن ال إقتراح، مجيبُ  
دعوة المضطرّ إذا دعاه وهو معتكف على صنم لذاته وأفعاله القباح،  
يسمع حنين أنين الأطفال في ديجور الليل وجري الماء في العود وخيل

الليل تركض للصبح، إستوى على العرش وما جلس، ونزل وما انتقل،  
هذا هو الحق ومن خالفه فهو الخطأ الصُراح، من شرب من راح حُبّه  
ارتاح، وأعلن بأسراره وباح، من خالف هوى نفسه استراح، وإلاّ فهو  
كبيتٍ ما فيه مصباح، أفيقوا من حُمار الهوى فقد نادى المنادي : حيّ  
على الفلاح، واتلوا على أسماء القلوب آية فسرها ذو الصلاح، (الله  
نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ) قُمْ فِي وَقْتِ  
السحر وسمع حنين العاشقين وأنين المشتاقين ياذا الأفعال القباح،  
ينادون مولاهم بشفاه ذابله، ودموع سائلة، وزفرات قاتلة، وألسنة  
فصاح، فإن انقطع قلبك في بادية ذنبك وأنت بمعزل عن الصلاح، فنادِ  
على نفسك نداء من أعلن بقصته وباح، وتفكر في أفعاله القباح، فصاح  
فأنشد صُراح :

لا خير في العيش بغير افتضاح وهل على من مات وجداً جناح  
قد جئتكم مستأمناً فارحموا لا تقتلوني قد رميتُ السلاح  
لا تقتلوني أنا في أسركم والحبُّ قد أثخن قلبي جراح  
نَحْمَدُهُ وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَا مَنَحَ مِنْ عَطَايَاهُ أَبَاحَ، ونشهد أن لا إله إلاّ الله  
وحده لا شريك، له شهادة أرجو بها الفوز والنجاح، ونشهد أن محمداً  
عبده ورسوله المخصوص بالعلم وأزواجه صلاةً تقوم فتدوم ما هبت  
الرياح وما تعاقب الجديدان واختلف المساء والصبح.

أمّا بعد: وفقنا الله وإياكم فإنّا نستفتح المجالس بذكر الله العظيم، لنطرد به العويّ الرجيم، ونخرج به من زمرة الغافلين، ونهتدي به إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم، فنقول إذ ذاك **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**، إسم عزيز، بسم الله كلمة السلامة، بسم الله كلمة الكرامة، بسم الله إذا مرّ على القلوب المريضة شفاها، وإذا نظر إليها بعين العناية بلغها منها، إسم بذكره يستأنس المستوحشون، **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** أسكر العقول وأحيا القلوب، كاسات هذا ال إسم دائرة، فأين القلوب الحاضرة، عجباً لبقاء هذه النفوس عند دَوْران هذه الكؤوس، عجباً كيف تبقى الأرواح في الأشباح عند ذكر الملك الفتح، لو أدير هذا الكأس على جبل أبي قبيس لسكر سكر قيس، لولا استتار الحقيقة بستر لطيف عن العباد، لم تثبت عند ذكره الأرواح في الأجساد، لمن لا تليق به الأشياء والأنداد، هذه كؤوس بسم الله تُدار مَنْ يشرب؟، هذه حُداة الذكر تُغني فأين من يطرب؟ هذه حمائم ال إشتياق تنوح فأين من قلبه بالفراق مجروح؟ من لم يتطيّب بعرف هذا الوادي فلا طيب له في هذا النادي.

خليليّ إن الجزع أضحى تُرابهُ من الطيب كافوراً وعيدانه زُندا  
وأصبح ماءُ الجزع عذباً وأصبحت حجارته مسكاً و أوراقه ورّدا  
وما ذاك إلاّ أن مشّت بجنابه كل بئينة في سرب فجرت به بُردا  
فأهدت لنا من عطفها يوم سلّمت نسيماً كريح المسك زدنا به وجدا

قال سهل بن عبدالله : ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادي : ما  
أنصفتني عبدي أذكرك وتنساني، وأدعوك إليّ فتذهب عني إلى غيري،  
وأذهبُ عنك البلايا، وأنتَ مُعتكف على الخطايا، يا ابن آدم ما  
اعتذارك علي إذا جئتني؟.

ما زلتَ دهرًا للقلبي مُتَعَرِّضًا ولطالما قد كنتَ عنا مَعْرُضًا  
جانبتنا دهرًا فلما لم تجد عوضاً سوانا صرت تبكي ما مضى  
لو كنتَ لازمتَ الوقوفَ بابنا لَلَيْستَ من إحساننا خِلْغَ الرضا  
لكن هجرتَ حقوقنا وتركتهَا فلذاك ضاق عليك مَتَّسعَ الفضا  
مَنْ ذا يُطِيقُ صدودنا أو مَنْ لَهُ صبر على سيف الصدود المُنْتَضِي  
يا هذا جَدَّ العارفون وهزلتَ وصعدوا في طلب المعالي ونزلتَ ؟ !  
فصار سُراهم في ظهور  
حدوا عَزَمَاتٍ ضاقت الأرضي دُونَهَا  
العزائم

لا حَ لهم عَلَمُ الوصال فنفضوا مزاول الركائب فصاح المحبّ : هبّت لنا  
من رياح الغدير رائحة :

تُمُّرُ الصبا صَفْحًا بساكن ذي الغضا وَيَصْدَعُ قَلْبِي أَنْ يَهَبَّ هُبُوبُهَا  
قريبةٌ عَهْدٍ بالحبيبِ، و إنما هَوَى كُلِّ نَفْسٍ حَنْثُ حَلِّ حَبِيبِهَا  
وما هجرتك النفسُ أَنكِ عندها قليل، ولكن قَلَّ منكِ نصيبُها  
ولكنهم يا أجمل الناس أولعوا بقولٍ إذا ما جئتُ : هذا حبيبُها

يا هذا تتوجه إلى الحبيب و معشوقتك الدنيا! ؟

طَهَّرَ خِلَالَكَ مِنْ خِلِّ تُعَابٍ بِهِ      مِنْ الدُّنْيَا بِالْبِرِّ وَالْبَرِّ وَالْبُرِّ  
قَدْ وَافَقُوا الْوَحْشَ فِي سَكْنَى مَرَابِعِهَا      وَخَالَفُوهَا بِتَفْوِيضٍ وَتَطْبِيبِ  
نَافِرِهِمُ النَّوْمِ وَخَالَفَهُمُ السَّهْرُ، فَهَرَبُوا مِنْ كَرْبِ الْوَجْدِ إِلَى نَسِيمِ الصَّبَا.  
يَا لِنَسِيمِ سَحَرٍ بِحَاجِرٍ رَوَّتْ بِهِ رِيحُ الصَّبَا عَهْدَ الصَّبَا  
السَّحَرُ رَيْعُ الْأَحْبَابِ وَرِيحُ الرَّبِيعِ عَيْرٍ، إِذَا جَالَتْ رِيَاحُ الْأَسْحَارِ فِي  
صَحْرَاءِ التَّعَبِّدِ حَمَلَتْ أَرَائِحَ أَزْهَارِ الْقُلُوبِ.

"تؤدي صباها ما تقول خزامها"

إِذَا هَبَّ مِنْ وَادِي الْعَقِيقِ نَسِيمٌ      يَذَكِّرُنِي عَهْدَ الصَّبَا فَأَهِيمُ  
وَإِنْ لَمَعَتْ نَارٌ عَلَى ابْرَقِ الْحَمَى      دَعَانِي هَوَى فِي الْقَلْبِ مِنْكَ قَدِيمُ  
وَأَصْبُو لِحَفَاقِ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى      وَسَوْقِي لِسُكَّانِ الْغَوِيرِ عَظِيمُ  
وَإِنِّي إِذَا مَا مَضَى الشُّوقُ وَالْأَسَى      رَحَلْتُ وَقَلْبِي فِي الدِّيَارِ مَقِيمُ  
أَوْحَى اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَى دَاوُدَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - :  
قُلْ لَشُبَّانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ تُشْغَلُونَ نَفُوسَكُمْ بِغَيْرِي وَأَنَا مُشْتَاقٌ إِلَيْكُمْ، مَا  
هَذَا الْجَفَا لَوْ يَعْلَمُ الْمُدَبِّرُونَ عَنِّي كَيْفَ أَنْتَظِرُنِي لَهُمْ وَشَوْقِي إِلَيْهِمْ لَمَاتُوا  
شَوْقًا إِلَيَّ وَانْقَطَعَتْ أَوْصَالُهُمْ مِنْ مَحَبَّتِي، هَذِهِ إِرَادَتِي فِي الْمُدَبِّرِينَ عَنِّي  
فَكَيْفَ إِرَادَتِي فِي الْمُدَبِّرِينَ عَلَيَّ؟، يَا دَاوُدُ! كَذَبَ مِنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي فَإِذَا  
جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي، كَذَبَ مِنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي ثُمَّ خَطَرَ بِبَالِهِ غَيْرِي، يَا آذَانَ  
الْقُلُوبِ السَّمْعِي أَنَا جَلِيسٌ مِنْ ذِكْرِنِي :

وَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ الْجَفَا      فَمَمَّنْ تَرَى قَدْ تَعَلَّمْتُمْ

فيا أرباب القلوب أما فيكم من عَدِمَ لَذَّةَ قرب محبوبه، أما فيكم من  
أرضعوه من لبان وصاهم ثم فطموه، يا مفطومهم إبك وترام عليهم، يا  
سما، أعين المحجوبين اسكبي، يا قمرية قلوب المهجورين ترثمي واطربي، يا  
ألسنة المحييين عمّا يجن الجنان اعربي، يا أكباد المحزونين ذُوبي والهبي :  
لقاؤك أنسق للمُحِبِّ وسلوانُ وذكرك لي راحٍ وريحك ريجانُ  
وأنت حياتي إن فقدتك لمحّةً و أولُ مَفْقُودَيْنِ روح وجثمانُ  
ومن عَجَبِي أَنِّي لِلْحَظِّكَ ناظرٌ وأنّ فؤادي من ورائك ملائِنُ  
جرى لك ذكر فاهتزرتُ لطيبه وعند هبوب الريح ينعطفُ البانُ  
ومن عَجَبِي دمعي لُبُعِدِكَ هَتَّانُ وفي كَبدي جَمْرٌ يذِيبُ ونيرانُ  
يا مَنْ قد أضاعَ يوسفُ قلبه جُزْ بخيام القوم لعلَّكَ تجدُ ريحَهُ، قِفْ  
بالسَّحَرِ على أقدام الدَّلِّ لم وقل بلسان التذلل (يا أيها العزيز مَسَّنَا  
وأهلنا الضُّرُّ)، لما أجذبت أرضُ قلب يعقوب لفقد قطر سحاب جمال  
يوسف، خرج أهل كنعان يستسقون في مصلى صحراء مصر مُرتدين  
بأردية (مَسَّنَا وأهلنا الضُّرُّ وَجئنا ببضاعةٍ مُزجاةٍ فَأَوْفِ لنا الكيلَ وَتَصَدَّقْ  
علينا).

نشأت سحابُ الغيث (هل علمتم ما فعلتم بيوسف).

غردَ قمرِي الاعتراف (تالله لقد آثركَ اللهُ علينا وإن كُنا لخاطئين) فتبسم

ثغر سحاب العفو (لا تُثْرِبَ عليكم).

إذا ذهب العتابُ فليس وُدٌ ويبقى الودُ ما بقي العتابُ

لولا مرارة البُعد ما نال حلاوة التلاقي

فلولا البُعد ما حُمِدَ التداني ولولا البين ما طابَ التلاقي

لَمَّا تَوَجَّهَ الصَّدِيقُ بِقَمِيصِهِ إِلَى يَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - أَلْقَوْهُ وَهُوَ يَدُورُ فِي الْبَيْتِ وَيَقُولُ : (إِنِّي لِأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) وَقَدْ اشْتَمَّ رَائِحَتَهُ مِنْ مِائَةِ وَ أَرْبَعِينَ فَرَسَخًا.

نَسِيمٌ بَدَأَ مِنْ عَطْرِ قَرَبِكَ هَاجِنِي إِلَيْكَ فَهَاجَ الْقَلْبَ وَالْجِسْمُ حَاضِرُ  
فَإِنْ غَنَّتْ الْأَطْيَارُ أَطْرَقَتْ نَحْوَهَا وَإِنْ هَبَّتِ الْأَرْيَاحُ فَالطَّرْفُ نَاطِرُ  
قِيلَ : لَمَّا جَاءَ الْبَشِيرُ بِالْقَمِيصِ وَدَفَعَهُ إِلَى يَعْقُوبَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - شَمَّ رَائِحَتَهُ وَوَضَعَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصَيْرًا.

إِذَا ذُكِرَتْ أَرْضُ "الْعَقِيقِ" وَ "نُعْمَانُ" تَهَيَّجَ بِقَلْبِ الْمَدْنِفِ الصَّبِّ نِيرَانُ  
وَإِنْ لَاحَ بَرَقُ "بِالْغَوِيرِ" يَهْيِجُنِي إِلَى الْبَانِ وَاحْزِنِي وَأَنِّي لِي الْبَانُ  
أَحْنُ إِلَى سَكَّانِ "لَعَلَعَ لَمَّا وَاللَّوَى وَهُمْ فِي فَوَادِي وَالْحَشَاشَةُ سَكَّانُ  
وَلِي إِنْ سَرَى الرِّكْبُ الْيَمَانِي أَنَّهُ تَدَلُّ عَلَى أَنْ فِي فَوَادِي أَشْجَانُ  
وَإِنْ مَرَّ بِي رِكْبُ "العذيب" حَسَبْتَنِي كَأَنِّي مِنْ خَمْرِ الصَّبَابَةِ نَشْوَانُ  
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ تَشَوِّقًا لِأَنَّ بَهَا أَحْبَابَ قَلْبِي قُطَانُ  
وَمِنْ عَجْبِي أَهْوَى دِيَارِ أَحْبَبْتِي وَسُكَّانَهَا فِي رُبْعِ قَلْبِي سَكَّانُ  
إِذَا هَبَّ نَسِيمٌ نَجْدٌ تَحَرَّكَ الْمَشْتَاقُ بِالْوَجْدِ  
إِذَا الرِّيحُ مِنْ أَرْضِ الْحَبِيبِ تَنَسَّمَتْ وَجَدْتُ لِمَجْرَاهَا عَلَى كَبْدِي بَرْدًا



على كبدٍ قد كاد يحرقها الجوى      تذوبُ وبعضُ القوم يحسبني جُلدا

إخواني ! تاهبوا ليومٍ تترادف فيه العبرات، وتعظم الحسرات، فيعضُ  
الظالم على يديه ويقول : يا حسرتا يوم يقول لك أين من أرضيت عنك  
بغضبي عليك، ابن آدم أين من كنت تزينت له وبالقيح بارزتي، ما هذا  
التذل بين يديّ وقد كنت جبّاراً عنيداً، طالما ذُكرت بموقفك هذا  
فتناسيت، وطالما بُصرت بأمرك هذا فتعاميت، ولم تزد إلا فراراً، يا  
حسرة العاصين، يا ذلّ مقام المتجبرين، واخيبة المضطرين، واخسارة  
المُسرفين.

اليوم يومُ عتابنا

أهلَ الغرام تجمَعوا

فغرائبنا أغرى بنا

نَعَقَ الغرابُ بَيْننا

قد وُكِّلوا بعدابنا

إنّ الذين نُحِبُّهم

نمشيَ إلى أحبابنا

قوموا بنا بحياتكم

جادوا بعنق رقابنا

قومٌ إذا ظفروا بنا

إخواني ! لو رأيتموهم في الدجى بين الخوف والرجاء، تائبهم يقول: اعفُ

عني وأقلني عثرتي، ومتعبدهم يتململ:

تُرِيدِينَ إدراكَ المعالي رَخِيصَةً ولا بُدَّ دونَ الشَّهَدِ من إِبْرِ النَّحْلِ

وبأكيهم يستغيث "قَصُرَتْ دموعي عن مدى حُزني" ومحِبُّهم يترنم:

"وَهَبْتُ السُّلُوَ لمن لامني" ومشتاقهم يزمزم: "وعِلَلاني بحديث حاجر"

ومتمللمهم يهتف : "شجوي كشجوي يا حمام ساعدي" ومنبسطهم يقول : "أنت النعيم لقلبي والشقاء له" والمُدَلّ يتكلم : "لا تَبْرِ عوداً أنت ريشته" إلى متى تشرُدُ عن مؤلّفك، يترك وتعصي، ويقربك وأنت لنفسك تُقصي.

"لما الله من لا ينفع الودُ عند" يا عبدَ شهوته، يا قتيلاً غفلته، يا أسير بطالته (أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار) لقد حدثت من لا يعرف، وعدلت من لا يسمع، وزجرت من لا يقبل، ومتى اتهم الترجمان فالأولى له السكوتُ إجلس ساعة في بيت الفكر وصح على نفسك بصوت اللوم أما أتعبت الرواحل في أسفار الجهالة، أما أخذ الفراق حظّه من يعقوب، أبقى السقام موضعاً في جسم أيّوب، فإذا جنّ الليل فعلق على قطار المتجهدين، وزاحم زمرة المستغفرين، فإن هتف لسان العتاب أطلت الغيبة عنّا فقل بلسان التذلل :

ما كنتُ أعرفُ ما مقدار وصلكم حتى هجرت وبعضُ الهجر تأديبُ  
ثم أرسل منشد البكاء فسُمع القيولُ يستطيب تلك النعمة وليكن في  
بسيط الغناء :

مضى زمنٌ والناسُ يَسْتَشْفِعُونَ  
فهل لي إلى ليلي الغداة شفيح.

بي

واجعل في الثقل :

فَلَيْتَكَ تَخْلُو والحياةُ مريرةٌ وَلَيْتَكَ تَرْضَى والأنامُ غِضابُ

وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبيني وبين العالمين خرابٌ

وأنشد متمملاً :

قل للمدامع بعد الحي تنسكبُ فذاك أيسرُ ما في حُبهم يَجِبُ  
أحبُّ باناتٍ "سَلع" والمقيم بها وفي فؤادي من هجرانهم لَهَبُ  
غبتم فما سرّني من بعد فرقتكم شيءٌ ولا طاب لي من بعدكم طَرَبُ  
لا تعجبوا من مماتي بعد بينهم شوقاً فإنّ حياتي بعدهم عَجَبُ  
هم أهل ودي وإن صدوا وإن هجروا وغايتي إن رضوا عني وإن غضبوا  
دعهم يجوروا فما للصبّ من أحدٍ يُنجيه منهم إليه منهم الهَرَبُ  
فهم أحبة قلبي لا عدمتهم ما دمتُ حياً وإن بانوا وإن قربوا  
وكان لي سببٌ أرجو الصلات به فانقضى حين ولّوا ذلك السببُ  
يا ساكني "رامة" ما إن ذكرتكم إلا جرت أدمعي في الخد تنسكبُ  
وبعدُ : فابك بكاء مهجور، ونح نواح مأسور، وقل : "تلذّ عيني وقلبي  
منك في ألم".

فإن لم ترَ للقبول أثراً فصَح في الوادي :

تلك نجد فأين سُكّانُ نجدٍ أترى يعرفون بعدي بعهدي  
أم نسوني إذ فارلموني ملالاً و إبلائي أنا المعنى بوجدي  
هي لي قبلة فلاتمنعوني أن أؤدي فيها فريضةً وردي  
وأداوي داء الغرام بلثمي تُربّها فهي لي عبيري وندي

حَدَّثَ الدمعُ عن جفوني فقالوا من روى عنه مُسنداً قلتُ : حَدِّي  
وأجازتني الصباةُ حتى صرتُ أفتي في مذهب العشق وحدي  
أترى يسمح الزمان بوصلٍ فأراهم من قبل أسكنُ لحدي  
يا من عليه صورة التعبد وليس عليه وجدان العبادة. وقد يَتَزَتَا بالهوى  
غيرُ أهله مثلك لا يصلح للمحبة، أنت يأسرك حُبُّ حثه، لا يشتم ريحُ  
نجدٍ إلا أعرابي، كيف يصلح في شرع المحبة نومٌ بعد ترغيب، هل من  
سائلٍ فأعطيه :

يا مَنْ لحشا المحب بالشوق حشا ذا سرُّ سراك في الدجى فكيف فشا  
هذا المولى إلى الممالك مشى لا كان عشاءً أورتَ القلبَ عشا  
و ا توبيخ كذب من ادعى محبتي فإذا جنهُ الليلُ نام عني.  
فقلتُ لها: بَخَلتِ عليَّ يقظى فجودِي في المنامِ لمُسْتَهامِ  
فقالَت لي : وَصِرْتَ تنامُ  
وَتَطْمَعُ أن تراني في المنامِ!؟  
أيضاً

لولا مكابدة السهر لم يقلَّ المجتهد:

سَلُوا الليلَ عني مُد تناءتْ دياركم هل اكتحلتُ بالغمضِ لي فيه أجفانُ  
إن لم يكن لك مركبٌ فاجلس على دكة الاستغفار عساك تُدرِكُ عسكرَ  
الليل قبل العتمة فيسهم لك مع القوم.

تعرِّض نسيماً هبَّ من أرض "نُعمانٍ" ليحيا به ما مات من قلب هيمانٍ  
وقف عن يمين الدوح من جانب الحمى وقوف ذليل مدنفٍ نائمٍ عاني

ونادِ سلام الله يا بانه الحمى عليك ومن لي بالسلام على البانِ  
يا من عاملناه مدة ثم قطع، وسار في محجة مجتناي ثم رجع :  
رعى الله الديارَ "بذاتِ سَلْعٍ" فكم من معهدٍ فيها ومغنى  
واحسرتا! كيف قُربوا وأبعدنا، و ا أسفا كيف دنوا وطُردنا، أين لدعات  
الوجد؟ أين حركات الفراق؟ أين تلهف الزفرات؟ أين شدة الحسرات  
؟.

ألا يا نسيم الريح من أرض بابلٍ تحمّل إلى أهل الحبيب سلامي  
وإني لأهوى أن أكون بأرضهم على أنني منها استفدتُ غرامي! ؟  
إذا رَمَدتْ عيني تداويت منكم بلفظة حسّ أو بسمع كلام  
وإن لم أجد ماء تيممتُ باسمكم فصَلَّيتُ فرضي والديارُ أمامي  
إستعملت زوجة محمد بن واسع لبدأ تجري عليها دموعه، لأنّ الدموع  
كانت أكلت خديه حتى بدت أضرأسه إذا رأيتم باكياً فارحموه، وإذا  
شاهدتم واجداً فاعذروه، فإنه قد وجد ما لم تجدوه.

مالي سوى قلبي وفيك أدبته مالي سوى دمعي وفيك بكيته  
ما كنتُ أعرفُ ما الغرام ولا الأسى والشوق والتبريح حتى دُفّته  
لو أنّ عندي والدموعُ سواجمّ رمل القفار من الدموع بللته

إجتاز رجلٌ صالحٌ بدارِ صالحِ المُريِّ، فسألَ عليه ماءً من ميزابٍ، فتوقف  
الرجلُ يسألُ عن الماءِ، فخرجت إليه الجاريةُ فقال لها: طاهر أم غير  
طاهر؟ فبكت وقالت يا سيّدي هذه دموعُ صالحِ المُريِّ.  
هاكُمُ قلبي فإن لم يرضكم ففؤادي جهدٌ ما يمكنني  
يا حمامات اللوى نوحى معي يا غرابَ البين إبكِ شجني  
إخواني ! ما أشدَّ الفراق، متى يكون التلاق ؟ !

غرابَ البين صَحَّ بالقرب  
كما قد صَحَّتَ ويحك بالبعادِ  
صَوْتاً

تُنادي بالتفرق كل يومٍ فما لك بالتقرب لا تُنادي  
رُوي أنّ طاووساً ورد على ماء، وكان الماءُ من دموعِ آدم عليه السلام،  
فلَمَّا دخل الطاووس فيه اسودَّت رجلاه، فصاح صيحةً عظيمةً وقال :  
هذه دموع من عصى مولاہ، فقال آدم - عليه السلام - : إلهي ومولاي  
هذه الأطيّار تعيّرني في هذه الدارِ  
شعر في المعنى :

لا عُدْتُ أركبُ ما قد كنتُ  
جُهدي فَخُذْ بيدي يا خير من رحّما  
أركبُه

هذا مُقام ظلومٍ خائفٍ وجِلٍ لم يظلم الناسَ لكن نفسه ظلّما  
فاصفح بفضلك عمّن جاء معترفاً بزلةٍ سبقت منه وقد ندّما  
مالي صلاحٌ ولا علمٌ ولا عمَلٌ فامنن بعفوك يا من عفوه عمّما

## المنثور لابن الجوزي مكتبة مشكاة الإسلامية

قال الجنيد: رأيتُ آدم عليه السلام في النوم وهو يبكي، فقلتُ : علام تبكي؟ أليس قد غفر لك ووعدك بالرجوع إلى الجنة؟ فناولني ورقة مكتوبة، قال : فأفقت فوجدت في يدي مكتوب :

تحرقتني بالنار نارٍ من الهوى ونار الهوى نارٍ أحرّ من النار  
شغفت بجارٍ لا بدارٍ سكنتها على الجار أبكي لا على فرقة الدار  
ولو لم يعدني بالرجوع إلى المنى هلكتُ ولكن مقصدي صاحب الدار  
قال السريُّ : بتُّ ليلةً بقريةٍ من قرى الشام وإذا بقائل يقول طول الليل: أخطأتُ فلا أعود. فسألتُ أهل القرية عنه، فقالوا: هذا يقال له : فاقدُ إلفه.

كانت الأمتعة الثمينة والذخائر النفيسة تأتي إلى مصر وتباع ولا ينظر إليها يوسف فإذا جاءت أحمال الصوف من كنعان لا تُحلُّ إلا بين يديه.  
"أسائل عنها فهل مخبر".

هيهات لم يكن النظر لذات الصوف وإن ما كانت له صفة تدل على الموصوف، ولم يكن إلا اشتمام ريح محبوبه، وإتيانها من عند يعقوبه.  
لا ح وعقد الليل مسلوب برق بنار الشوق مشبوب  
عسى قميصُ الوصل من يوسفٍ يجيا به المشتاق يعقوبُ  
كان أحد المتعبدين يجتهد في العبادة وكُلِّما ذكر الله وصلّى يلوم نفسه ويقول : عدمتك يا قلب ما أقساك أصبحت وأمسيت لعظمة الله ناسياً،  
إلهي كيف لي بالقرب منك وقاسي القلب بعيد عنك؟.

ليت شعري ما الذي نلتُ أنا      ليلةً أبرم فيها أمرنا  
هل رضائي سيدي عبداً له      أو رماني حين ألفتُ الحنا  
ودعاني أمره عن إذنه      عبدٌ سوءٍ أنتَ لم تصلح  
لنا

هكذا يا عبد سوء هكذا      بعدما واصلتنا قاطعتنا  
قد دعوناك فما عجلت لنا      واختبرناك فما أعجبتنا

أيها الغافل! رحلت القوافل، كيف يكون حال المستهام، إذا قوّضت  
الخيام، وبرزت للرحيل الأعلام، يا معشر المحبين، ويا ذوي الأشواق، ما  
خُلق الفراق إلا لتعذيب العُشّاق، ولا خُلق الرحيل والرواح، إلا لتعذيب  
الأرواح.

سَهَرْتُ غراماً والخَلِيُّونَ نُومٌ      وكيف ينامُ المستهَامُ المُتَيِّمُ  
ونادمي بعد الفراق ثلاثةً      غرامٌ ووجد والسقامُ المُخَيِّمُ  
أحبابنا إن كان قتلي رضاكمُ      فها مهجتي نَصَبٌ لكم فتحكموا  
"بنعمان" كم لي وقفةٌ في ظلاله      أسائلُ كَثبانَ "الأبيرق" عنكمُ  
واستخبر الركبان عن ساكني الحمى      وعن أهل نجد أين حلّوا ويمّموا  
بكِت الحمى حتى بكت لي قلاعُهُ      وناديتُ وُزُقَ البانِ والقصد أنتمُ  
أيا ساكني أرضَ "العذيب" لعلكم      تزوروا مريضاً بالغرام مُتَيِّمُ  
ومن عَجَبِ الدنيا وأنتم أحبّتي      يُجَارُ على ضعفي لديكم وأظلمُ



ووجدي ذِيَاكَ الذي تعرفونه      وحبكم ذاك المصون المكمّم  
وكيف يدوم الهجر والقلب عندكم      ولم لا أحبّ السقمَ والسقمُ أنتم  
سادتي ! ما أعذب أيام التلاق، ما أكثر بكاء المشتاق، ما أحرّ أنفاس  
العشاق، أين من نجدِ أرضِ العراق، قُسمتِ الغنائم، وأنت يا مسكين  
نائم، الحربُ غبارٌ قائمٌ، وأنت غلامٌ نائم.

جئتُ مستخفياً و قد عرفوني      فأنا تائب ترى يقبلوني  
لي على الباب مُدْ وقفْتُ زماناً      كلُّما رمتُ وصلهم منعوني

لم أكن للوصال أهلاً ولكن      أنتم بالوصال أطمعتموني  
فاجبروا كسر مُذنبٍ قد أتاكم      يرتجي عفوكم بكم فارحموني  
يا ولاة القلوب رفقاُ بعددِ      ضاع منه فؤاده فاعذروني  
في بحار الهوى غرقت بوجدي      طال شوقي لهم وقد تركوني  
أيها النفس ساعديني وجدّي      ويح قلبي ومهجتي هجروني  
طُوبى لمن وصل، يا منقطعين فوزٌ لمن قبل، يا مطرودين يا مسكين لو  
أرادوا قربك لاستخدموك، لو تذلت لهم لرحموك، لكنك أعرضت عنهم  
فتركوك، ولم تأتِ على المقصود فأبعدوك، وعن باهم وفضلهم طردوك،  
فإن أردت قربهم فابك على نفسك وقد قبلوك.

لو بكت عيناك يا هذا دماً      ما تقدمت إلينا قدماً  
نح علينا أسفاً أو لا تنح      واقرع السن علينا ندماً

إخواني ! إيّاكم وفرعون الهوى فإنه يصلب القلوب على جذوع النخل،  
قد قَسَتْ القلوبُ فصارت كالحديد فَفَقَّرَبوها إلى نار الموعظ، ودعوني  
أنفخ كير التخويف حتى يحمى، وإلاّ فما ينفع الضربُ في ، حديد بارد؟!.

دوبيت :

يا غاية مُنيّتي وأقصى طلبي  
ما أسرع ما طردتني  
واعجبي

لم أقض على ظمائي منكم إرّبي حتّام أعيشُ بالمني واحرّبي  
يا غافلين عن الحق وقد فتح بابّه، تعرّضوا للقلوب فهذا وقت أجابه،  
خرج كمينٌ من عسكر اللطف فتح باباً من أبواب القرب، هزّت  
شجرات الوصل فتساقطت ثمر الأُنس هذا مُنادي ال إستدعاء قد كبرّ،  
هذه بلابلُ الوصال قد صاحت، هذه أعلام القبول قد لاحت.  
ما زارَ طيفُك إلا قلتُ واطرباً ولا انثنى راجعاً ناديتُ واحرباً  
ولا ترنم قمرِيّ على فننٍ يشكو التلهف إلا زادني طرباً  
أفدي الغزالَ الذي بالجزع غازلني يوماً على خيفةٍ من أعين الرُقبا  
يا ليلة السّفح من وادي الأراك لنا عودي كما كنتِ قِدماً في قباب "قبا"  
واسترجعي طيبَ أيّامٍ لنا سلّفتُ فأطيبُ العيش يوماً رُدُّ ما ذهباً  
إخواني ! إيّاكم والذنوب فإنها أذلت أباكم بعد عزّ "أسجدوا"، وأخرجته  
من إقطاع (أسكن أنت وزوجك).

## المنثور لابن الجوزي مكتبة مشكاة الإسلامية

واعجباً جبريل بالأمس يسجد له واليوم يجرُّ بناصيته للإخراج ولسانُ

حاله يقول إرفق بي :

أرفقوا بي رفق من ذاق الهوى لا تذيبوا بجفاكم جَلدي

أخذكم للروح مني هين إنما المحنة ترك الجسد

أعظم الظلمة ما تقدّمها ضوءٌ، وأصعب الهجر ما تقدمه وصل، وأشدّ

عذاب المحبّ تذكّاره وقت القرب، في المعنى:

إني لأذكركم فتذهب غلّتي عني، وأذكركم فتعود

واشترت من مرضي عليّ صدودكم وفراق من أهوى عليّ شديد

أقسمت لا علق الفؤاد بغيركم ما دام في الشجر المورق عود

من عرف قدر ما يطلب هان عليه ما يبذل، من عرف قدر ما يطلب

"بياض" من قلق، من ذاق طعم الوصال ثم هجر تلف، ما أمر طعم

الفراق.

ولم تعدّ أوجه اللذات سافرةً منذ أدبرت باللوى أيّامنا الأولى

كان آدم عليه السلام إذا رأى الملائكة تنزل من السماء تذكر المرتع في

المربع فتأخذ العين في إعانة الحزين. شعر في المعنى:

رأى بارقاً من أرض نجد فراعته فبات يسحّ الدمع وجداً على نجد

فيا شجرات القاع من بطن وجرة سفاك هزيم الودق منبجس الرعد

هل الأعصر اللاتي مضيّن يعدن لي كما كنّ لي أم لا سبيل إلى الرد

واعجباً لقلق آدم ولا معين له على الحزن، هوام الأرض لا تفهم ما  
يقول، والوحش لا تدري وملائكة السماء عندها بقايا من يوم (أجعل  
فيها من يفسد فيها) فهو يجول في كربة بلا معين ولا راحم إلى أن يتداركه  
مولاه بلطفه.

ألا راحمٌ من آل ليلي فأشتكي غرامي له حتى يكلّ لساني  
تُرى بكى آدم لفراق الجنة، هيهات ! ما كان هذا القلق لنفيس الدار بل  
لربى الدار، عَجَباً لآدم لما غفر الله له طاف بالبيت أسبوعاً فما أتمه حتى  
خاضَ في دموعه، كان يبكي للدار مرّة وللجار ألفاً، والفراق يقلقل،  
والبعاد يزلزل، والشوق يململ، والهوى يقتل.

وإني لمشتاق إلى طيب وصلكم  
كما اشتاق نحو الدار من طال  
لفتته

ولم أبك بعد الدار عني وإنما بكيْتُ لفقد الصبر حتى فقدته  
إذا كان دمُع العين بالسرِّ بائحاً فليس بحافٍ في الهوى ما كتمته  
يا معاشر العُصاة! تُعرضون عنا ونُقبل عليكم، وتبارزون ونستركم،  
وتنفقون نعمتنا في مخالفتنا ونمدكم، وتناون عنا ونستدعيكم، هل من  
سائل فأعطيّه، هل من مستغفر فأغفر له، هل من تائب فأتوب عليه، يا  
مَرَضَى الذنوب داووها بالِإِسْتِغْفَارِ.

أناسٌ أعرضوا عنا بلا جُرم ولا معنى

أساءوا ظنَّهم فينا      وما سئنا بهم ظنَّا  
فإنَّ عادوا لنا عُدنا      وإنَّ خانوا فما حُنَّا  
وإنَّ كانوا قد استغنوا      فإنَّا عنهمُ أغنى

يا ابن آدم ! أقبل عليَّ فإنِّي عليك مقبل، ومتى رمتَ طلي فاطلبي  
بقلبك، بدليل ويسعني قلب عبدي المؤمن، يا ابن آدم أنا وحقِّي لك  
محبَّ، فبحقِّي عليك كُنْ لي مُحبًّا.

ساكنٌ في القلبِ يعمرُهُ      لستُ أنساه فأذكره  
نصب عيني دائماً أبداً      و سويدا القلب يبصره  
قلتُ للعُدَّال إذا أمروا      بِسُلُو عَزِّ  
مالكي في القلبِ مسكنُهُ      فَسُلُوِي أين أُضمِرُهُ

بيننا عهد من يوم (ألستُ بربكم)

فلا تنسوا العهد ما بيننا      فلسنا مدى الدهر ننساكمُ  
تبعدون عَنَّا ونرسل إليكم مسائل هل من سائل، هل من مستغفر، هل  
من تائب، وتُذنبون فيأتيكم منَّا عذرٌ، لو لم تُذنبوا لأتى الله بقومٍ يذنبون  
فيستغفرون فيغفر لهم.

تشاغلتمُ عَنَّا بصحبة غيرنا      وأظهرتمُ الهجران ما هكذا كُنَّا  
وأقسمتوا أن لا تحولوا عن الهوى فقد وجلال الله حلتم وما حلنا  
يقول الله - عَزَّ وجلَّ - : وعزتي و جلالتي لأمهلن على من عصاني يتلذذ  
بنعمائي، فإن استحيا مني استحيت منه، وإن أعرض عني نظرتُ إليه

بالفضل وإن تاب إليّ تبت عليه، وإن قال : يا رب! قلتُ : يا عبدي.  
إخواني ! ينبغي للإنسان أن لا يقف إلاّ بباب مولاه، ولا ينبغي عوضاً  
سواه، ولا يدعو إلاّ إياه، ولا - يجعل بينه وبينه حجاباً، ويسأله حاجاته  
القليل والكثير، قال موسى : يا ربّ أسألك القليل والكثير، قال : سلني  
كل شيء حتى ملّح عَجينك وَعَلَفَ شاتكُ أنظر إلى موسى وأدبه (ربّ  
أرني أنظر إليك) تارة، وتارة رغيفاً (إنيّ لما أنزلت إليّ من خيرٍ فقيرٍ).  
إخواني ! أنظروا إلى يوسف عليه السلام لما قال للساقى : (اذكريني عند  
ربّك) يعني عند سيّدك وهو الملك إنقطع عنه جبريل عليه السلام وكان  
قبل هذا يزوره، فأوحى الله إليه يا يوسف إتخذت من دوني وكيلاً، وعزّتي  
لأطيلنّ حبسك فيقال إنّهُ لبث في السجن اثنتي عشرة سنة وهي عدد  
حروف "أذكرني عند ربك" خمسة قبل ذكره وسبعة بعده فلمّا كان منه ما  
كان من رؤية الأسباب والوسائط والالتجاء بغير جناب الحق، كانت  
عقوبته انقطاع جبريل عنه فَعَظُمَ حزنُ يوسف لذلك واغتم واشتدّ غمُّه :  
بنتُم فأوحشتُمُ الدنيا لبيِّنِكُمُ فاليوم لا عوضُ عنكم ولا بدّلُ  
حملتموني على ضعفي لفرقتكم ما ليس يحمله سهّل ولا جبِلُ  
إذا شممتُ نسيماً من دياركُمُ عدمتُ عقلي كأنيّ شاربٌ ثَمِلُ  
لما قدم الرسول من عند يوسف إلى يعقوب ليخبره بخبره، وقف بالباب  
وأعلم أخته أن تستأذن عليه يعقوب، فدخلت عليه وهو يصليّ فأعلمته  
فأوجز في الصلاة وقال لها: ما لكِ يا بُنيّة ! فقالت له : هذا رسولٌ أتى

إليك من بعض القرى، فلما سمع ذلك قام ووقع، ثم قام ووقع، فأخذت ابنته بيده وأخرجته، فقال له : من أنت؟ فقد شممت عليك رائحة طيبة أهاجت مني ما هو مكتتم.

أنهى أحاديث نَعْمَانِ وسَاكِنِهِ إِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ الْأَحْبَابِ أَسْمَارُ

أَفْتَشُ الرِّيحَ عَنْكُمْ كُلَّمَا نَفَحَتْ مِنْ نَحْوِ أَرْضِكُمْ نَكْبَاءُ مِعْطَارُ

قال : فأخبره الأعرابي بالخبر، فقال له يعقوب -عليه السلام - رأيته؟ قال : لا، ولكنه ناجاني، فبكى يعقوب، فقال له : يا أخ العرب : هل لك من حاجة؟ قال : بل هو يحييك بالسلام وأما أنا فليس لي في الدنيا من حاجة فإن ذلك الغريب أغناني، فدعا له يعقوب عليه السلام وقال هَوَّنَ اللَّهُ عَلَيْكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ.

قال أبو الفرج الهمداني : دخلتُ جامع البصرة فرأيتُ شاباً يكتب شيئاً، فقلت أيّ شيء تكتب؟ فقال لي : أسماء المحبين فقلت له : بالله عليك أكتبني فيهم قال : لا فوقع عليّ من البكاء ما لم أطقه فقال لي : يا شيخ ما يُبكيك : فقلت له : ألا ما كتبتني في المحبين أو في يحبّ المحبين فلما جنّ الليلُ إذا أنا بهاتفٍ يهتف بي ويقول لي : يا أبا الفرج قد غفر الله لك ذنوبك بقولك : أكتبني فيمن يحبّ المحبين.

يا راكب الشملة

بالله بالله

بجنب تلك الأثله

أمنن عليّ وقفه

بين بيوت رمله

فاندب بها تسليمه

وإن رأيتاً هاتفاً يهتف بي فقل له

جنّ بكم فما الذي به اختلستم عقله

قال بعض المشائخ - عليه السلام - المحبة إذا غلبت صاحبها يرى الأشياء كلها

صورة محبوه، كما قال الجنيد : لا تصحّ المحبة من اثنين حتى يقول

أحدهما للآخر يا أنا

في المعنى شعر:

أيها السائل عن قصتنا إن ترانا لم تفرق بيننا

أنا من أهوى ومن أهوى

فإذا أبصرتني أبصرتنا

أنا

حكى أنه لما تمكّن حب يوسف من زليخا نسيت كلّ شيء سواه، وكانت

تسمي كلّ شيء باسمه، فإذا رفعت رأسها إلى السماء ترى اسمه مكتوباً،

فتاهت في حبه حتى أن يوسف لما سُجن اتخذت قصرًا بإزاء السجن،

وكانت لا تنام الليل، فقيل لها في ذلك فقالت : إن أردتموني فقلبي

مسجونٌ عند مسجونِي.

قلبي يراك على بُعد من الدار وأنت بالقرب من قلبي وتذكاري

إن غاب شخصك عن عيني فلم أراه فإنّ حبك معقودٌ بإضماري

وإن تكلمت لم ألفظ بغيركم و إن سكنت فأنتم عقد أسراري

إخواني ! هذه الطائفة أبدانهم في عذاب الدنيا، وقلوبهم مع المعذب،

هيئات أجساد القلوب عندكم، وأرواحها عندنا.



إِنَّ فِي الْأَسْرِ لَصَبًّا      دَمْعُهُ فِي الْحَدِّ صَبُّ

هو بالروم مقيمٌ      وله بالشام قلبٌ

حكى أن إبراهيم بن أدهم - رضي الله عنه - حجَّ إلى مكة فبينما هو في الطواف فإذا بشاب حسن الوجه قد قطع على الناس طوافهم من حسنه وجماله وبهت الناس ينظرون، فصار إبراهيم ينظر إليه ويبكي فقال بعض أصحابه : إنا لله وإنا إليه راجعون غفلة دخلت على الشيخ بلا شك فقلت له : يا سيدي ما هذا النظرُ الذي يخالطه البكاء؟ فقال الشيخ : أعلم يا أخي أيُّ لولا ما عقدتُ مع الله عقداً لا أقدر أفسخه كنت أدني لهذا الغلام مني وأسلم عليه وأضمه ألتممه، ولكني خشيت أن يقطع بي عن من عقدت العقد بيني وبينه، أعلم أن هذا ولدي وقرّة عيني تركته صغيراً وفررت إلى الله، هو كما ترى مُدكبر وهؤلاء عبيده وإني لأستحي من الله أن أعود لشيءٍ خرجتُ منه.

وما عرضت لي نظرة مُدّ عرفته ولا شيء إلا كان لي حيث أنظر

أغارُ على طرفي له فكأنني إذا رام طرفي غيره لست أبصرُ

فيا منتهى سؤلي وذخري وعُدتي ودارك في قلبي إلى يوم أُحشِرُ

ثم قال إمض وسلّم عليه لعلّي أتسلّى بسلامك عليه وأبرّدُ به ناراً على

كبدتي قال : فأتيت الفتى وسلّمتُ عليه وقلت له : بارك الله لأبيك

فيك فقال : يا عم ! وأين أبي؟ إنَّ أبي خرج فارّاً إلى الله تعالى، ليتني لو

رأيتُه مرة واحدة وتخرج نفسي عند ذلك، هيهات تُرى يجمع الله شملي

## المنثور لابن الجوزي مكتبة مشكاة الإسلامية

به، قال : وَغَلَبَتْهُ الْعَبْرَةُ فَرَدَّهَا بِيَدِهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَوَدُّ لَوْ أُنِّي رَأَيْتُهُ  
وَدَعْنِي أَمُوتَ مَكَانِي.

لقد حكم الزمانُ عليَّ حتى      أراني في هواك كما تراني  
حبيبي إن بُعدت فإنَّ قلبي      على مرِّ الزمان إليك وأني  
وإنَّ بُعدت ديارك عن دياري      فشخصك ليس يبرح عن عياني  
فيا وَلَعَ العواذل كفَّ عني      ويا كفَّ الغرام خذي عناني  
لقد أمكنت حبك من فؤادي      مكاناً ليس يعرفه جناني  
كأنك قد ختمت على ضميري      فغيرك لا يمرُّ على لساني

قال : فَأَتَيْتُ إِبْرَاهِيمَ بْنَ أَدْهَمَ وَهُوَ سَاجِدٌ فِي الْمَقَامِ وَقَدْ بَلََّ الْحِصَا  
بدموعه، وهو يتضرَّع إلى الله ويقول :

هجرت الخلق طراً في هواكاد      وأسلمتُ العبادَ لكي أراكا  
فلو قطعني في الحبِّ إرباً      لما سكنَ الفؤاد إلى سواكا  
فقلتُ له : ادعُ له، فقال : حَجَبَهُ اللَّهُ عَنْ مَعَاصِيهِ.

إخواني ! نفوس هذه الطائفة قد ذابت بالمحبة إليه، وقلوبهم طارت  
بالشوق إليه، قلوبٌ صفت من الأدناس فصفاها مع الأنفاس، قلوبٌ ،  
لا يطفى حريقُها، ولا يسكن شهيقُها، إذا لاح للباشق صيدٌ نسي  
مألوف الكف، من كان واثقاً بالسلامة فرح بفك باب السجن.  
دَعَهَا فَسِائِقُ رُكْبِهَا الْأَشْوَاقُ      ذُكِرَ الْخَلِيطُ فَمُدَّتِ الْأَعْنَاقُ  
شَقَّتْ نَسِيمَ حُزَامٍ نَجِدٍ فَاعْتَدَتْ      لَا يُرْتَجَى لِأَسِيرِهَا إِطْلَاقُ

لا الشامُ شامٌ حين تُذكر نَجْدُها آهاً لَذاك، ولا العِراقُ عِراقُ  
 باحتِ حِشاشةِ نَفسِها بَوصالِهم فالوِصلُ مِنها لِلضِرامِ نِفاقُ  
 لم تَستَمِعِ ذِكرَ الحِمي إِلا انثنت فَكأَنا غَنى لَها إِسحاقُ  
 لَمّا تَكاَمَلِ بَناؤُ بَيتِ اللّهِ تَعالى وَهي الكِعبَةُ الحِرامِ أوحى اللّهُ تَعالى إِلى  
 إِبراهيمَ عَلِيةِ السَلامِ أَن أذُنِ في النَاسِ بِالْحِجِ فَقالَ : كِيفِ يا رَبِّ يَسمِعُ  
 صَوتِي جَمِيعَ الخِلائِقِ؟ فَقالَ يا إِبراهيمَ مَنكَ النِداءُ وَعَليَ البِلاغِ، فَعَلا  
 إِبراهيمَ عَلِى جِبلِ "أبي قَبِيسِ" وَنادى مَن كُلا الوِجوهِ إِن رَبِّكمُ بَنى لَكم  
 بَيتاً فَحِجّوهُ، فَأجابَهُ مَن جَرى القَدْرُ بِحِجِّهِ : لَبَّيكَ اللّهُمَّ لَبَّيكَ، وَكانَ  
 ذَلكَ اليَومُ أَخاً لَيَومِ (أَلستَ بِرَبِّكم).

لَمّا رَأيتُ مَناديهِمُ أَلَمَّ بِهِمُ شَدَدْتُ مَنزَرَ إِحرامِي وَلَبَّيتُ  
 وَقلتُ يا نَفسِ جَدِّي الآنِ واجتَهدِي وَساعِدِني فَهَذا ما تَمَنيتُ  
 لو جِئتَكم زائِراً أَسعى عَلِى قَدَمِي لَم أَقضِ حَقّاً وَأَيُّ الحِقِّ أَدَّيتُ  
 ثمَّ أَعَلَمَ الجَليلُ الخَليلُ أَن نِداءَكَ واقِعَ في مَحَلِّ النُجَعِ، فَقالَ : (يأتوك  
 رِجالاً) وَهمُ الرِجالَةُ، وَقَد حَجَّ إِبراهيمُ وَإِسماعيلُ ماشِيينَ، وَحجَّ الحِسنُ  
 بَنِ عَلِى رَضِيَ اللّهُ عَنْهُما خَمِساً وَعَشرينَ حِجَّةَ ماشِياً وَالنِجائبُ تُقَادُ مَعَهُ  
 وَحجَّ الإِمامُ أَحَمَدُ بَنِ حَنبَلٍ ماشِياً مَرَتينِ (و عَلِى كَلِ ضامِرٍ) قَد ضَمَّرَها  
 طَولَ السَفرِ صاروا صابِرينَ عَلِى مِشايقِ الطَريقِ بَينَ صِعودِ وَنِزولِ  
 وَمَضيقِ، (وَعَلِى كَلِ ضامِرٍ يأتينِ مَن كَلِّ فَجَّ عَميقِ).  
 فَارِقِ القَومُ دِيارَهُمُ وَترَكوا مَراذِمَهُمُ وَجَعَلوا ذِكرَهُ زادَهُمُ باينوا الخِلائِقِ،

وتجردوا عن العلائق، تركوا المحيط، وأقبلوا على الملك المحيط، وإنما أمروا بالتجريد ليدخلوا زي الفقراء فَبَيَّنَ أثرُ، (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى).

إخواني ! الحجُّ حرفان حاء وجيم، فالحاء حلم المعبود، والجيم جرم العبيدُ  
تالله لقد جمعوا الخير الجمَّ ليلة جمع، ونالوا المنى إذ دخلوا في منى.

نال المنى من حلّ في وادي منى      غيري فإني ما بلغت مُرادي  
وبكيتُ من ألم الفراق وشقوتي      فبكى الحجاج بأسره والوادي  
رفعوا بأيديهم وضخوا بالبكا      وضَمَمْتُ من حُزني يدي لفؤادي  
لما حجَّ جعفر الصادق - عليه السلام -      أراد أن يُلبِّي فتغيّر وجهه، فقيل له :  
مالك؟ فقال : أريد أن ألبّي وأخاف أن أسمع غير الجواب.  
وقف مُطْرَفٌ وبكرٌ بعرفة ُ فقال : مطرِفُ اللهم لا تردّهم من أجلي.  
وقال بكر : ما أشرفه من مقام لولا أنّي فيهم.

وقفَ الفضيل بن عياض فشغله البكاء عن الدعاء، فلما كادت الشمسُ  
أن تغربَ قال : واسوأته منك وإن غفرت.

وقف بعض الخائفين على قدم الإطراق والحياء، فقيل له لم لا تدعو؟  
فقال ثمَّ وحشة، قيل: هذا يوم العفو عن المذنبين، فَبَسَطَ يده فوق  
ميتاً مكانه.

انزل الوادي بيمينه      فهو بالأحزان ملآنُ  
وارم بالطرف العقيق فلي      ثمَّ إطراب وأشجان

وأنشد القلب المشوق عسى يرجع المفقود نُشْدَانُ

وابكٍ عني ما استطعت إذا ما أمال الطرفَ نِعْمَانُ

وأقره عني السلام فسُكَّانُ قلبي فيه سُكَّانُ

لا تزدني يا عدولي جوىً أنا بالأسواق جَدْلَانُ

قال وَهَيْبُ بنِ الْوَرْدِ: لقيت امرأةً في الطواف وهي تقول بصوت حزين :  
إلهي ذهب اللذات وبقيت التبعات، يا ربِّ مالك عقوبةً إلا النار، أما  
في عفوك ما يسعني؟.

وحج الشبلي - رحمته الله - ماشياً على التجريد فلما رأى مكة أنشد:

أَسْكَانُ مكة هذا الذي أراه عياناً وهذا أنا

ثم وقع مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

هذه دارهم وأنت مُحِبُّ ما بقاء الدموع نجي الآماقِ

وقديماً عهدتُ أفنية الدارم وفيها مصارعُ العُشاقِ

حجَّت امرأةٌ من العباد وهي تمشي وتقول : أين بيت ربِّي ! أين بيت ربي  
! فيقولون : الآن ترينه، فلما لاح البيتُ قالوا: هذا بيت ربك، فجعلتُ

تشتدّ وتقول : بيت ربِّي، بيت ربِّي، حتى وضعت جبهتها عليه فما

رُفِعَتْ إلا ميتة.

إشتقتُ يا سفن الفلاة فَبَلِّغني وطربتُ يا حادي الرفاق فَعَنيني

إخواني ! أين من أضناه الشوقُ ؟ أين من أكمده الحرقُ ؟ أين لَدَعك

الوجدُ ؟ أين تأسّف البُعْدُ ؟

أتظنُّ الوُرُقَ في الأيِّك تغني  
إنَّها تُضمِرُ خزناً مثل حزني  
لا أراك الله نجداً بعدها  
أيُّها الحادي بنا إن لم تُغنِ  
هل تباريني على فرط الجوى في ديار الحُبِّ نشوى ذاتِ عُصنِ  
هَبْ لها السبق ولكن زادنا  
أنا نبكي عليها وتُغني  
يا زمان الخيف هل من دعوة  
يصح الدهر بها من بعد ضنِّ  
أرضينا بثنيّات اللوى  
عن "زرود" يا لها صفقة غبن  
سَلْ أراك الجزع هل مرّت به  
مُزنة تُروى ثراه غير جفني  
وأحاديث الغضا لو علمت  
إنَّما تملك قلبي قبل أذني  
يا خليلي بنجدٍ عرّجا  
وانزلا بالمنحنى إن كان يغني

واندبا الأطلال قد كان بها  
جيرةٌ قد أخلفوا بالبعد ظني  
ضاع قلبي وابلائي بعدهم  
يا أصيحابي اسمعوا ما كان مني  
طول ليلي ساهرٌ من بعدهم  
ونهارٍ في بكاءٍ ثم حزن؟  
ما أدري ما الذي أهاج قلب الحزين، أه من طول تفكر وأنين :  
أهاجك من أرض العراق يروقُ وأنتَ إلى أرض الحجاز مشوقُ  
تحنُّ إلى مجلى بروح شجيةٍ  
ومالكٍ فيما تبتغيه طريقُ  
فلا أهل ليلي يرحمون متيماً  
ومالكٍ منهم في الديار صديقُ

يا من لم يصل في هذا العام إلى "منى" اطلب "منى" فمنى المنى إن لم تصل إلى عرفة، فأقبل إليه بقلب عرفة. واعجباً لمن يقطع المفاوز ليرى البيت كيف لا يقطع نفسه عن هواها ليصل إلى كعبته ويسعني قلب عبدي المؤمن.

إليك قصدي لا للبيت والحجر ولا طوافي بأركان ولا أثر  
يقال : إن يوم عرفة ينزل ربنا إلى سماء الدنيا فيقول : يا ملائكتي أنظروا إلى عبيدي شعناً غُبراً من كل فج عميق، أشهدكم أنني غفرت لهم، وفي لفظ لا يبقى يوم عرفة من في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا غفر له.  
حكاية: لما اجتمع يوسف -عليه السلام - بأخيه يهوذا قال له : أخبرني عن حال أبي وقصته :

وما شرقي بالماء إلا تذكراً      لماء به أهل الحبيب نزول  
وما عشت من بعد الأحبة سلوةً      ولكنني للنائبات حمول  
أما في النجوم السائرات وغيرها لعيني على ضوء الصباح دليل  
فقال : كيف أصف لك حاله وقد ذهب بصره من البكاء عليك فلا يشتهي إلا لقاءك، فبكى يوسف بكاءً شديداً وقال : ليت أمي لم تلدني  
يا صاحبي إن كنت لي أو معي      فقم إلى أرض الحمى نرع  
واسأل عن الوادي وأربابه      وانشد فؤادي في ربا المجمع  
واسمع حديثاً قد روتهُ الصبا      تسنده عن بانه الأجرع  
وابك فما لي العين من فضلةٍ ونُب فدتك النفس عن مدمعي

يا هذا! إذا رأيت مُحباً ولا تدري لمن، فَضَع يَدَكَ على نبضه، وَسَم كَلَّ  
من تَظُنُّه المحبُوب، فَإِن النبضَ يَنزَعُ عند ذكر الحبيب (إذا ذَكَرَ اللهُ  
وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ).

حبيبي دون الكل أنت حبيبُ فهل لي من قُرب إليك نصيبُ  
تعرض لي من أيمن السربِ بارقُ فَظَلَّتْ عَوادي مُقَلَّتِي تصوبُ  
أبي الشوق إلا أن قلبي بذكركم يَقلِّقُهُ بين الضلوعِ وجيبُ  
ركبتُ مطايا الوجد نحو دياركم وخوفي من قطع الطريق قريبُ  
وكيف أرتجى طيفكم أن يزورني وبين جفوني والرقاد حُروبُ  
مريضُ اشتياقٍ ليس تنفعه الرُّقى فهل غير لقياي الحبيب طبيبُ  
المحبة نَبْضٌ في القلب لا تَفْتَرُ حركته، وسكون النبض علامة الموت.

يا ساكناً فؤادي	يا نازلاً جناني
يا من يراه قلبي	لا ملتَ عن عياني
يا مهجتي وروحي	يا غاية الأمانِي
تُرى تراك عيني	يوماً من الزمانِ
وأن يكون حظي	في الحبِّ أن تراني

يا واقفاً في الصلاة بجسده والقلبُ غائب، أتدري بين يدي من أنت  
قائم؟ أتدري من اطلع عليك ما يصلح ما بذلته من التعبه مهراً للجنة  
فكيف ثمناً للمحبة؟ رأت فأةً جملاً فأعجبها، فَجَرَتْ بِخَطامه فتبعها،  
فلما وصل إلى باب بيتها وقف ونادى بلسان الحال : إِمَّا أن تَتَّخِذِي



داراً تليقُ بمحبوبك أو محبوباً يليقُ بدارك . خُذْ من هذا إشارة إما أن  
تُصَلِّيَ صلاةً تليقُ بمعبودك أو معبوداً يليقُ بصلاتك . يا مَنْ وافق القوم،  
ولو بعض يوم، لك في طريقهم ذوق، فأين الشوق؟ كنتَ تدَّعي حُبَّنَا  
وتؤثر الشوق منّا، فما هذا الصبرُ الذي عَنَّا؟ تعرفُ رياح الأسحار،  
وما تعرفُ المهبَّ ، ولكن دخل فصلُ برد الفتور ولم يحترز فأصابك ركام  
الغفلة.

يا صاحبيّ أطيلاً في مؤانستي      وناشداني بخلاني وعُشاقِي  
وحدِّثا في حديث الخيف إنَّ له      زوجاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقِي  
ما ضرَّريح الصبا لونا سمَّتْ حُرقي      واستنقذت مهجتي من أسرِ أشواقِي  
داءً تقادم عندي من يعالجُه      وَحِيَّةٌ لدغت قلبي من الراقِي  
يمضي الزمانُ وآمالي مصرَّمةٌ      ممَّنْ أحبُّ على مطلٍ وإملاقِ  
واضيعة العمر لا الماضي انتفعتُ به      ولا حصَّلتُ على شيءٍ من الباقي  
يا مَنْ ذهب عمره في البطالة، ورضي من الدنيا بأقبح حالة، معمر  
الظاهر والباطن مهدوم، يا معاصر العُصاة لا تحتقروا ذنباً وإن صَغُر، فإنَّ  
الحشيش يفتل منه الحُبْل فيخنق الفيل المغتلم، أول الحريق شرارة، يا من  
يُذنب ولا يتوبُ يا من أعمت قلبه الذنوبُ، يعدُّ بالتوبة ولا وَعَدَ  
عُرُقوب، إلى متى تتعثر في ظلمة البعادِ وعدُّ نفسك بتوبةٍ واعزم وقد  
حصَّلتها.

وَعَدْتَ نَفْسَكَ تَوْبَةً      اعْزَمَ وَقَدْ حَصَلَتْهَا

إلى متى تتعثر في ظلمة الميعاد، قد صاح بوق رحيلك، وحطت أطناب الخيم، وما نرى لك مركب، وما نرى لك زاد، جمعت مالك - لعيرك والدار يسكنها العدو، ناظرت خطأ ابن مقلة، غلظت في بوجداد. فيا مشتاقين أين شوقكم إلى ما فارقتهم؟ وأين توقكم إلى ما ألفتهم؟ يا قيس المحبة مُتٌ على قبر ليلي :

خذا من صبا نجد أماناً لقلبه      فقد تهاد رياها يطير بلبه

وإياك ما ذاك النسيم فإنه      إذا هب كان الموت أيسر خطبه

خليلي لو أحببتما لعلمتُما      محلّ الهوى من مغرم القلب صبه

آخر كتاب المنثور لابن الجوزي رحمه الله والحمد لله رب العالمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه آمين .

كتب هذه الرسائل المفتقر إلى عفو ربه التّوّاب السيّد عبد الوهاب بن السيّد عبد الرزاق بن السيّد محمد بن السيّد إبراهيم البغدادي الحنفي وكان الختام في اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب من شهور سنة الألف وثلثمائة وأربع وعشرين حامداً لله ومصلياً على رسوله وعلى آله وصحبه ومُسلِّماً.